



حليبي المهاجر

رحمه الله

مجلسي شورى المهاجرين في العراق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

”كراج“ الشهداء

- الجمعة ٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٤ -

الحمدُ لله على كلّ حال، فلا يُحَمَّدُ على مكروه سواه، فقد يأْتِي الخَيْرُ من جهة المكروه، وقد يهبطُ الشَّرُّ مع عينِ المحبوب، {وَعَسَى أَن تَكْرَهُوْا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوْا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ}، أَكْتُبُ هذه الكلمات وقد عُدْتُ لتوّي من كراج الشّهداء، كما سَمِّاه لي أبو مُصعب المهاجر، وبعْدَما لاحَ الصّبَاحُ وتكشّفتَ معه جريمةُ المُحتلّ، أَكْتُبُ وبيْنَ يديِّ ملابسُ الأَبطال الشّهداء المُمزَّقة، وقد اخْتَلَطَ كثيْرٌ منها بالدّماء، فهاهي سوداء في بيضاء (شَاغٍ)، قد رُسِّمت عليه بُقُعَّ من الدّماء كأنّها زهورٌ في أرض جرْداء. وها هوَ قميصٌ أَيْضُّ علَّته بُقْعَةٌ حُمْراءُ، بُقْعَةٌ دم طاهرٌ منْ شهيد، وبنطلونٍ وغيَاراتٍ داخليَّةٍ وأُحْذِيَّةٍ...

جمعتُ هذه الملابسَ حتَّى أغسلَها وأُعْيَدَها إلى بقيةِ المُرابطينَ كي يَنْتَفِعُوا بها، والحقُّ أَنْ نَفْسِي ثُراودِيَّ أَنْ أَدَعْهَا ذَكْرِي ”كراج“ الشّهداء، ولَكِي أُنْظُرَ إلى هذه الكوْمةِ مِنَ الملابس كُلُّما قَسَا قَلْبِي، أو لَأَنْتَ عَزِيمِي، المُهْمِ إِنِّي لَمْ أَحْزِمْ أَمْرِي بَعْدَ.

أَكْتُبُ هذه الكلمات، ومنظُرُ تَطايرِ ”الكراج“، أَحْجَارُهُ؛ حَدِيدُهُ؛ حِيطَانُهُ وسَقْفُهُ أَمَامَ عَيْنِي، منظُرُ مُرْيِعٍ وَمُهِيبٍ، ففي وسَطِ هذا الرَّكَامِ أَشَارَ إِلَيْهِ أبو ناصر البَطَلِ قَائِلاً: هُنَا كَانَ أبو مُصعبُ الشَّهِيدِ، وبجوارِهِ هَذَا الْجُزْءُ مِنَ الْحَائِطِ، سَقَطَ عَلَى رَجُلِ أَبِي ثُرَابٍ، لَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ، وَخَرَجَ أَبُو تَرَابٍ بِخَيْرٍ؛ أَمِيرُ الْجَمْعَةِ الْمُرَابِطَةِ حَذَاءَ الْعُدُوِّ.

وأَصْلُ الْحَادِثَةِ، أَنَّهُ فِي حَوَالِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ مَسَاءً جَاءَ رَثْلٌ أَمْرِيكِيٌّ مُسْرِعاً، وَتَقَدَّمَ جَهَةُ نُقطَةِ النُّعِيمِيَّةِ حَيْثُ تَوَجَّدُ لِلإخْوَةِ نُقطَةُ تَفْتِيشِ هَنَاكَ، ثُمَّ صَبَّوْا جَامَ غَضِبِهِمْ عَلَى مَكَانِ السُّيْطَرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ، وَلَمْ يُصَبِّ أَحَدٌ، وَاتَّسَرَ الإِخْوَةُ حَذَاءَ الْعُدُوِّ، وَاسْتَعْدَوْا لِصَدَّهُ وَدَحْرَهُ، كَمَا دَحَرُوهُ مِنْ نَفْسِ الْمَكَانِ بِالْأَمْسِ.



وبَدأ الإخْوَة يَتَشَبَّثُونَ فِي جَمِيع أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ، وَيَأْخُذُونَ اسْتِعْدَادَهُمْ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ مَنْ أَخَذَ اسْتِعْدَادَهُ؛ بِمَجْمُوعَةِ الصَّنَاعَةِ، وَهِيَ بِإِمْرَةِ الْقَائِدِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ بَلَادِ الْحَرَمَيْنِ، حِيثُ تَكَفَّلَتْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ بِبَطْلَةِ بِحْمَاءِ أَهْمَمَ ثُغُورِ الْمَدِينَةِ وَأَنْخَطَرَهَا مِنْ الْجَهَةِ الشَّرْقِيَّةِ، حِيثُ يَبْعُدُ مَكَانُ الإِخْوَةِ عَنِ الْعَدُوِّ حَوْلَيْ مِائَةِ وَخَمْسِينَ مِتْرًا تَقْرِيَّبًا، وَوَاضِعُ مِنْ كَثْرَةِ الْاِشْتِبَاكِ مَعِ الْعَدُوِّ أَنَّهُ كَانَ مَرْصُودًا تَامًا مِنْ قَبْلِ الْأَمْرِيَّكَانِ، فَلَا يَوْجَدُ خَرْمٌ إِبْرَةُ فِيهِ آمِنٌ، وَالْمَوْتُ يُلْحِّ عَلَى كُلِّ فَرِدٍ فِيهَا صَبَّاحَ مَسَاءً، فَالْيَوْمُ أَبُو زَرْعَةَ جَرِيَّحٌ، وَبِالْأَمْسِ أَبُو مُحَمَّدَ شَهِيدٌ، وَهَكُذا دَوَالِيْكَ مِنْذُ تَحْمُلُ الْأَبْطَالُ هَذِهِ الْعَبَءَ، هَذَا وَالْعَدُوُّ يَقْصُفُ الْمَكَانَ بِصُورَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ وَمُتَقْطَّعَةٍ، وَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ يَجْعَلُ الْمَكَانَ كُلَّهُ كَمَّهُ جَمَرَةً مُلْتَهِبَةً تَتَطَاَبِرُ فِيهِ الشَّظَّاَيَا فِي كُلِّ مَكَانٍ.

مِنْذُ مَدَّةٍ حَكَى لِي أَبُو عُبَيْدَةَ الْلَّيْيِي يَقُولُ لِي: بَيْنَمَا الْقَصْفُ يَأْتِينَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَصَوَارِيْخُ الطَّائِرَاتِ الْحَرْبِيَّةِ وَالْقَادِفَةِ "سِي ١٣٠" تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَنَا، جَرِيَّتْ أَنَا وَبَعْضُ الإِخْوَةِ وَأَخْتَبَأْنَا بِجَوَارِ حَائِطٍ، فَإِذَا بِصَارُوخٍ ضَخْمٍ يَنْزَلُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي احْتَمَنَا بِجَوَارِهِ، حَتَّى إِنَّ صَوْتَهُ كَادَ يَخْلُعُ قُلُوبَنَا، هَذَا بِالْطَّبِيعِ بَعْدَ أَنْ أَصَمَّ آذَانَنَا.

قَالَ: وَفِي لَحْظَةِ الْانْفِجَارِ طَارَ الْحَائِطُ الَّذِي اخْتَبَأْنَا بِجَانِبِهِ، قَالَ: كَمَّهُ شَرِيطٌ تَلْفِزِيُّونِيْ، عَلَانَا الْحَائِطُ حَتَّى إِذَا تَشَهَّدُنَا وَاسْتَعَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَوْتِ، إِذَا بِالْحَائِطِ يَنْزَلُ بَعْدَنَا، وَلَمْ يُصَبْ أَحَدٌ مِنَّا بِخَدْشٍ وَاحِدٍ.

وَفِي نَفْسِ الْيَوْمِ حَدَّثَنِي أَبُو نَاصِرٍ، قَالَ: وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَصْلَى وَأَحَدُ الإِخْوَةِ الْأَبْطَالِ، إِذَا بِقَذِيفَةِ دَبَّابَةٍ تُدَوِّيْ جَانِبَنَا، فَاخْتَرَقَتْ شَظَّيَّةً مُلْتَهِبَةً يَدَ صَاحِبِيِّ، وَخَرَجَتْ مِنِ الْجَهَةِ الْأُخْرَى، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا الْأَخْ بَعْدَ رُبْعِ سَاعَةٍ مِنَ الْحَادِثَةِ يُضْمَدُ جُرْحَهُ بِبَيْتِ الْجَرْحِيِّ، وَهُوَ يَقُولُ: "بِسْرَعَةٍ..."; فَمَا أَنْ أَنْهَى الْأَخُ تَضْمِيَّدَهُ حَتَّى حَمَلَ سَلَاحَهُ وَعَادَ إِلَى أَرْضِ الْمَعرَكَةِ. وَحَادِثَةً أُخْرَى يَحْكِيَهَا لِي أَبُو نَاصِرٍ، وَأَرَانِي مَكَانَهَا، وَهَذَا قَبْلَ يَوْمِ وَاحِدٍ مِنْ حَادِثِ "كَرَاجَ" الشَّهِيدَاءِ، يَقُولُ: "بَيْنَمَا نَحْنُ نُصْلِي الْمَغْرِبَ أَمَامَ هَذَا الْمَنْزِلِ، وَبِمَجْمُوعَةِ "فَلَانَ" فِي هَذَا الْمَنْزِلِ"، وَأَشَارَ لِي لِعَدَّةِ مَنَازِلٍ تَحِيطُ بِسَاحَةٍ صَغِيرَةٍ. قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ نُصْلِي إِذَا بِصَارُوخٍ مُوجِّهٍ ضَخْمٍ يُدْوِيْ فِي الْمَنْطَقَةِ، حَتَّى كَادَتْ تَنْفَجِرُ طَبَلَةُ أُذْنِيِّ. فَذَهَبْتُ وَرَأَيْتُ الْمَكَانَ، مَكَانَ الْانْفِجَارِ، وَاللَّهُ يَا إِخْرَانِي لَا يُصَدِّقُ أَنَّ اَنْفِجَارًا كَهُذَا يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ عَلَى بُعْدِ



كيلومترات، فضلاً عن أن يكون على بعد أمتار. رأيت حفرة عميقة بقطر عشرة أمتار، وعمق ثلاثة أمتار، قد خرج منها الماء، وكان الصاروخ سقط في وسط مجموعة من الأشجار، فرأيت نخلة قد رماها الانفجار بعيداً، كأنما خلعت من أصولها بعناء فائق، ورأيت أبعد منها شجرة كافور قد اجتثت من أصولها، هذا ولم يصب أحد بأذى".

وفي ليلة كراج الشهداء، وبعد المغرب بساعة، مر على القائد الشيخ أبو مصعب، فوجده متاهلاً للخروج، فقال: "عندك شيء؟" قلت له: "إلا أن أذهب مع الإخوة، فذهبنا جهة سيطرة النعيمية، واقتربنا حتى كنا على بعد مائتي متر من الأميركيان، فقلت له: الآن يضربوننا، ندخل من أمامهم إلى هذا الشارع أحسن، فنحن على مرمى حجر منهم"، وبالفعل دخلنا، وبينما نحن ننتقل من مكان إلى آخر، رأينا لها ضخماً أضاء المدينة كلها، ثم سمعنا صوتاً مدوياً يأتي من جهة الصناعة، وفي نفس اللحظة سمعنا صوت طائرة حرثية في سماء المدينة، فعرفنا أنه قصف طائرة، فاتجهنا للمكان حيث قابلنا أحد الأبطال، وأخبرنا أن الصناعة قصفت بالفعل، وقصف أحد مقرات الإخوة، فقلنا: إن الله وإنما إليه راجعون، ووجه القائد الإخوة لإنقاذ إخوانهم، وتم إرسال رافعة لإنقاذهم من تحت الأنقاض، واتجه الإخوة من كل مكان لمساعدة إخوانهم في رفع الأنقاض.

وحكي أبو ذر الفلسطيني، وهو كان من نفس المجموعة المرابطة في المكان، قال: "جاء صاروخ سقط في هذا المصنع"، وأشار إلى مصنع أمام "الكراج" فأحرقه وسقط بجانب الساتر الترابي صاروخ آخر، ثم جاء إطلاق نار كثيف.

وفي تلك الأثناء كان الإخوة منتشرين، ولكن بالسلاح الخفيف، فقال قائد المجموعة أبو ثراب: "يا شباب خذوا كامل أسلحتكم واستعدوا"، فذهب أكثر من عشرة من الإخوة إلى مخزن السلاح، وهو عبارة عن مخزن في "كراج"، وبينما هم في المخزن، أحدهم يحمل قاذفته، والآخر يهتم بالخروج حاملاً "البيكاسي"، وثالث يحمل صواريخ قاذفة ورابع بقذائف الهاون.



يُبَيَّنُمَا هُمْ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، جَاءَ صَارُوخٌ ضَخْمٌ عَلَى نَفْسِ الْمَكَانِ، فَسَقَطَ السَّقْفُ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً، اسْتُشْهِدُ فِي الْحَالِ سَبْعَةُ، وَتَمَّ إِنْقَادُ أَرْبَعَةَ بِأَعْجُوبَةِ كَبِيرَةٍ، عَلَى رَأْسِهِمْ أَمِيرُ الْجَمْعَةِ أَبُو ثُرَابٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

هَذَا وَالإخْوَةُ مَا زَالُوا مُرَابِطِينَ فِي الْمَكَانِ، وَفِي نَفْسِ النَّقْطَةِ، وَذَهَبُنَا جَمِيعاً، فَالثَّغُورُ لَا قَدْرَ اللَّهِ لَوْ اسْتَوَى عَلَيْهَا الْأَعْدَاءُ، نَفَدُوا إِلَى الْحَيِّ الصَّنَاعِيِّ بِأَكْمَلِهِ، وَمِنْهُ إِلَى الْفَلَوْجَةِ، لَكِنَّ شَبَابَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ لِلْأَمْرِيَكَانَ بِالْمُرْصَادِ، وَالْقَوْةُ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجْلَهَا... وَإِلَيْكَ سِيرَةُ هُؤُلَاءِ الشَّهِيدَاءِ:

(الدَّاعِيَةُ الشَّهِيدُ)

أَعْنِي بِهِ الْأَدِيبَ الْحَبِيبَ الدَّاعِيَةِ الْمُوْفَّقِ، الْمُجَاهِدِ الْمُسَدِّدِ، الْهَيْنِ الْلَّيْنِ، السَّهْلِ الْمُبْتَسِمِ، الْبَخِيتِ مُحَمَّدِ الْكَوَيِّ، وَالَّذِي تُسَمَّى فِي أَرْضِ الْجَهَادِ جُلَيْبِيبَ.

هَذَا الرَّجُلُ الْفَدَّ الَّذِي تَرَكَ الْجَاهَ وَالسُّلْطَانَ، أَعْنِي سُلْطَانَ الْعِلْمِ وَجَاهَهُ، فَقَدْ تَحْرَرَ مِنْ قُيُودِهِ وَأَنْخَلَعَ مِنْ أَغْلَالِ السَّمْعَةِ وَالصَّيْتِ، وَارْتَضَى أَنْ يَصِيرَ جُنْدِيًّا مَجْهُولًا فِي ثَغْرِ مِنَ الثَّغُورِ، وَبَيْنَ سَرِيَّةِ مِنَ السَّرَّاِيَّا. كَانَ شَهِيدُنَا يَسْكُنُ أَقْصِي جَنَوبِ بَلَادِ الْحَرَمَيْنِ فِي مِنْطَقَةِ الرَّبِّعِ الْخَالِيِّ، فِي مَدِينَةِ اسْمُهَا الْوَدِيعَةِ.

طَالِبُ عِلْمٍ حَيِّدَ، كَمَا إِنَّهُ دَاعِيَةٌ مُوْفَّقٌ مُسَدِّدٌ، اتَّزَمَ وَاسْتَقَامَ عَلَى يَدِيهِ فِي فَتَرَةٍ وَجِيَزَةٍ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا.

يَقُولُ لِي أَبُو ثُرَابٍ وَهُوَ مِنْ نَفْسِ مِنْطَقَتِهِ: "يَا أَخِي أَنَا حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَعَلَى يَدِيهِ عَرَفْتُ الْإِسْتِقَامَةَ وَالْإِلْتَزَامَ، وَبِيَنَ يَدِيهِ تَعْلَمْتُ دُرُوسَ التَّوْحِيدِ، وَبِكُلِّمَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ غَرَسْ فِي حُبِّ الْجَهَادِ وَالْإِسْتِشَهَادِ"، يَقُولُ: "كَانَ يَتَعَهَّدُنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ، كَانَ يَعْمَلُ لَنَا رَحَلَاتٍ؛ لَيْسَ إِلَى الْمَصَايِفِ وَالْمَتَنَزَّهَاتِ، وَلَكِنْ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَنَعْتَكِفُ هُنَاكَ بَعْضَ الْأَيَّامِ وَيُجَلِّسُنَا مَعَ الدَّعَاءِ وَالْمَشَايِخِ، مَمْنُونٌ تَوْسِّمُ فِيهِمْ حُبُّ الْجَهَادِ وَالْإِسْتِشَهَادِ.



مُتزوج حديثاً، ورُزق قبل سفره بستة أشهر بطفلة أسمها سُمية، راجياً منَ المولى أن تكون على درب سيدتها سُمية الأولى، أراد السفر دون أن يعلم به أحد من طواغيت آل سعود، فسافر إلى اليمن تهريباً، وهناك حلق لحيته وغيره من شكله بعض الشيء، وبينما هو يسير في أحد شوارع صنعاء، قابله أحد تلاميذه فعرفه، فما كان من صاحبنا إلا أن عرّفه وجهه ودعاه إلى القدوم معه إلى أرض العزة والجهاد. وباليمن رتب أوراق السفر، وجهز نفسه وبدأ الرحلة لأرض الجهاد، يحمل أن يمسك البنية، ويصوّب بها، وتارة يحمل أنه يحمل صاروخاً يدمر كل شيء حول الكفار.

وأخيراً وصل إلى بلاد الرافدين، وبقي مع مجموعة أنصارية جهادية قربة الأسبوعين، ثم التحق بإخوانه من المهاجرين والمُرابطين في الصّف الأول. التحق بمجموعة القائد عبد العزيز مباشرةً، وأخذ يلح للذهب إلى الخط الأول، وتحت ضغطه وإلحاحه تم له ما أراد.

ويوم قدمه، دخل المطبخ، وعمل غداء للشباب، ولا أنه لم يكن صاحب خبرة في الطهي، أدرك أن الطعام كان أي شيء إلا أنه طعام صالح للأكل، قل مثلاً حجراً، شجراً أو عجينة، المهم قال: "يا شباب، أنا أرى أن الأكل ما عجبكم، خلاص أنا أعزكم اليوم على كتاب"، ثم أعطى لأي ذرّ مبلغًا من المال، وقال: "تروح وتحب للشباب كتاب ومشاريب وكل ما يحبوه خلاص". لكن القصف بدأ مبشرةً، وأسرع جليليب ليأخذ رشاشه من المخزن، مع من أسرع، لكن الله اصطفاه فسقط ذلك الصاروخ ليلحق جليليب بحبيبه الصّحابي الجليل جليليب، والذي كان يحبه داعينا.

استشهد جليليب، ولم يضرّب في الخط الأول طلقة واحدة، لكن الله أبى أن يموت إلا وأجره الرباط قد انعقد له والحمد لله، أسأل الله أن يثبت أهله وينتت بنيته نباتاً حسناً إنّه ول ذلك القادر عليه آمين...

وكتبه

أبو إسماعيل المهاجر